

نشأة علم تاريخ السنة النبوية وتطوره

The Origin and Development of The Science of The History of The Sunnah

* د/ عبد الحميد عبد القادر خروب

الأستاذ المشارك، قسم الحديث وعلومه، الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد

** د/ نورة محمد زواي

الأستاذة المساعدة، قسم الحديث وعلومه، الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد

ABSTRACT

Stood up against Islam fierce enemies who led a vicious psychological war that aimed to raise questions and spread suspicions about the prophethood of Prophet Muhammad, peace be upon him, and isolate people from him.

when the prophet stood up to their deceit and challenged them, they resorted to violence and declared war against him by the might of their swords and tried to assassinate him, but Islam triumphed over their swords and schemes, and its light spread all over the horizons. the people accepted the religion of Allah as individuals, groups and nations, and the Islam established a wonderful distinct human civilization that lasted more than a thousand years, until the bond between Islam and Muslims unraveled, letting-in weakness and calling for the enemies who broke the unity and dispersed the togetherness, and occupied the homes, and looted the goods and wreaked havoc on the land.

this brutal, unjust force was not contended by the major military success, but sought to destroy the culture of the Islamic nation and erase its identity, obliterate the historical glories, and replace them with cultural dependency and incorporate frustration and defeat, weakness and despair into the built of the individual and the society.

while impossible to strip the nation of its faith, Orientalists of the west and the likes of them, aimed their arrows to the sources of sharia law, to undermine the structure of Islam, and the demolish its built, and break its base, they threw suspicions on the Sunnah, and claimed it had not been preserved, and questioned its authenticity and authority.

They were faced by dignified Muslim scholars, who made clear the falsity of these suspicions, and revealed truth, and broke with irrefutable arguments, the false claims which they called scientific evidence but was, when scrutinized, weaker than a house of cards, and all their attempts ended at absolute failure, and the Sunnah stood tall and fixed.

The efforts of Muslim scholars in the defense of the Sunnah by responding to its opponents have formed a great wealth of knowledge that produced a new science called the science of the history of the Sunnah, which cares about proving the authority of Sunnah, and the history of writing it and the stages which recording it had passed through, and its classified books, and methods of prominent imams who served this field, and the branches

that originated from this science, and refuting the suspicions raised by Orientalists and those influenced by them and associate themselves with Islam. Those efforts have provided a valuable service to the science of history of Sunnah, and constructed a forte that crushed before its walls; the suspicions of Orientalists and opponents of the Sunnah. But this is still a new science and research in it continues, and the outcomes are fruitful.

This paper came to highlight the efforts of the Scholars in the service of this science, and present the most important problems.

التمهيد

وقف في وجه الإسلام خصوم ألداء، قادوا حرباً نفسية شنيعة للتشكيك في نبوة الرسول ﷺ وعزل الناس عنه، فلما صمد في وجوههم وتحداهم، لجأوا إلى استخدام العنف، فأعلنوا الحرب عليه بقوة السلاح وحاولوا اغتياله، لكن الإسلام انتصر على سيوفهم وعقولهم، وعمّ نوره الآفاق، ودخل الناس في دين الله أفرداً وجماعات وأماً، وقامت للإسلام حضارة إنسانية متميزة رائعة دامت أكثر من ألف سنة حتى إذا ضعفت علاقة المسلمين بدينهم، ودب إليهم الوهن، تكالب عليهم الأعداء، فكسروا وحدتهم وشتموا شملهم، واحتلوا ديارهم، ونهبوا خيراتهم، وعاثوا في الأرض فساداً، ولم تقف هذه القوى الغاشمة الظالمة عند تغلبها على المسلمين، ولم تكتف بما حققت من انتصارات عسكرية كبيرة، بل سعت إلى تدمير ثقافة الأمة الإسلامية ومحو هويتها، وطمس أمجادها التاريخية، واستبدالها بالتبعية الثقافية، وتكريس الشعور بالإحباط والهزيمة والضعف واليأس في بنية الفرد والمجتمع وحين استحال سلخ الأمة من دينها، صوّب مفكروا الغرب من المستشرقين، ومن على ساكلتهم، سهاهم إلى مصادر الشريعة، لتقويض بناء الإسلام، وهدم هيكله، وتحطيم قواعده، فألقوا بالشبهات على السنة النبوية، وأدعوا عدم حفظها، وشككوا في صحتها، وطعنوا في حجيتها، فتصدى لهم من المسلمين علماء أجلاء، بينوا زيف هذه الشبهات، وكشفوا عن تهافتها، ونقضوا بالحجج الدامغة مزاعمهم التي سموها أدلة علمية، وهي عند التمحيص أو هن من بيت العنكبوت وباءت جميع محاولات خصوم السنة بالفشل الذريع، وبقيت السنة النبوية شاخصة ثابتة.

وكان الإمام الجليل محمد بن الحسن الشافعي أول الذين قاموا بالرد على الشبهات التي تثار حول السنة في كتاب "الأم" لكنه لم يقصد استيفاءها ولا أفرادها بالتأليف، ثم ألفت كتاباً خاصاً باسم "اختلاف الحديث"، وجاء ابن قتيبة في القرن الثالث الهجري فصنّف كتاباً سماه "مختلف الحديث" التنزيه السنة من الطعون التي وجهت إلى الحديث وأهله، وفي العصر الحديث سنة 1946م ألفت الشيخ محمد أبو زهو أول كتاب مستقل في تاريخ السنة سماه "الحديث والمحدثون"، وقد ضمّنه الأدلة على حجّية السنة النبوية، والأدوار التاريخية التي مرّت بها من عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى غاية القرن العشرين، وذكر المصنّفات في السنة ومناهج

أصحابها، وأورد فيه شبهات المستشرقين وفنّدها، ثمّ ألّف الشيخ محمّد أبو شهبه سنة 1946 م رسالة علمية سمّاها "الوضع في الحديث وردّ شبه المستشرقين والكتّاب المعاصرين" نال بها درجة الدكتوراه، وألّف الشيخ مصطفى السباعي سنة 1949 م كتابا سمّاه "السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي" بسط فيه القول في حجّية السنة وردّ على الطّاعنين فيها من الفرق القديمة والحديثة، وأبطل فيه مطاعن المستشرقين، ثمّ جاء من بعدهم الشيخ عبدالرحمن بن يحيى المعلمي وألّف كتابه "الأنوار الكاشفة" سنة 1959 م، فنّد فيه الشّبهات التي أثارها محمّد أبو رية في كتابه "أضواء على السنة المحمّدية"، كما ألّف الشيخ محمّد أبو شهبه في تاريخ السنة كتابا بعنوان "دفاع عن السنة وردّ شبه المستشرقين والكتّاب المعاصرين" ردّا على كتاب أبي رية، ثمّ تحوّل التأليف في تاريخ السنة إلى الدّراسات الجامعية، فكتبت فيه رسائل عديدة منها "بحوث في تاريخ السنة النبوية" للشيخ أكرم ضياء العمري، وهي عبارة عن مقدّمة لرسالته التي نال بها درجة الماجستير سنة 1967 م، وكتب الشيخ محمّد الأعظمي رسالة بعنوان "دراسات في الحديث النبوي" حاز بها درجة الدكتوراه، وألّف الشيخ عجاج الخطيب كتابه "السنة قبل التدوين"، وخصّ الشيخ محمّد أبو شهبه كتابه "الوسيط في علوم مصطلح الحديث" بمباحث في تاريخ السنة، وكتبت الدكتوراة عزيزة علي طه سنة 1990 م كتابا عنوانه "دفاع عن السنة النبوية الشريفة"، وألّف الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي سنة 1997 م رسالة بعنوان "السنة النبوية الشريفة، حقيقتها ومكانتها عند المسلمين"، وحقّق الدكتور المطيري حاكم عيسان كتاب الحافظ السرمري الحنبلي "إحكام الذريعة إلى أحكام الشريعة" وضمّنه دراسة وافية لتاريخ السنة النبوية وسمّاه "تحقيق كتاب" إحكام الذريعة إلى أحكام الشريعة" للحافظ السرمري الحنبلي، مع دراسة لمراحل تدوين السنة ومناقشة آراء المستشرقين حولها"، وقد نال به درجة الدكتوراه، وطبع الكتاب سنة 2002 م.

فهذه المؤلفات جميعها قدّمت خدمات جليلة لعلم تاريخ السنة النبوية، وشيّدت صرح بنائه الذي تحطّمت عند أسواره شبهات المستشرقين، وخصوصاً السنة الشريفة، ولا يزال هذا العلم جديداً، والتأليف فيه مستمراً، وعطاؤه مثمراً، وقد جاء هذا البحث ليبرز جهود العلماء في خدمة هذا العلم، ويعرض أهمّ مسأله، خلال المباحث التالية:

المبحث الأول: مفهوم علم تاريخ السنة النبوية

شكّلت جهود العلماء في الدّفاع عن السنة النبوية، والتصديّ لخصومها، ثروة علمية كبيرة، أنتجت علماً جديداً سمّي بعلم تاريخ السنة النبوية، وهو من فروع علم الحديث، ويهتم بحجّية السنة، وتاريخ كتابتها ومراحل تدوينها والكتب المصنّفة فيها، ومناهج الأئمة الأعلام الذين خدموها، والعلوم التي تفرّعت عنها، لتفنيد الشكوك

في صحتها وإبطال الطعن في حجيتها، وإثبات حفظها من الانداس والصّياح، والردّ على خصوم السنة من المستشرقين، ومن تأثر بهم من المتسبين للإسلام.

وقد ذكر العلماء أدلة كثيرة على حجّية السنة النبوية، ومنها:

1- أمر الله تعالى في آيات عديدة بوجوب طاعة رسوله محمد ﷺ فقال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ "، وحذّر سبحانه من مخالفة رسوله فقال: " فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ "، وعدّ الإعراض عنه ومخالفة طريقته كفراً فقال: " قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ "، ومن أطاع الرسول ﷺ ولزم سنته فقد أطاع الله، قال سبحانه: " مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ "، قال ابن كثير: " أطيعوا الرسول أي خذوا بسنته "، والأخذ بسنته يستلزم حفظها وحجّيتها.

2- آيات كثيرة تبين أنّ السنة هي مفسّرة وشارحة للقرآن الكريم ومنها قوله تعالى: " وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ "، ويلزم من ذلك حجّية السنة وحفظها لتبقى مذكرة تفصيلية لمبادئه العامّة

3 - آيات كثيرة تأمر المسلمين بالرجوع إلى كتاب الله وسنة نبيه عند التنازع والاختلاف والتشاجر وفي قضاياهم كلّها، ومنها قوله تعالى: " فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ "، قال مجاهد وغير واحد من السلف: " أي إلى كتاب الله وسنة رسوله "، والأمر بالردّ إلى السنة يعني حجّيتها وأن تكون محفوظة لئلا يتسنى الرجوع إليها.

4- آيات كثيرة تأمر بالالتزام بأوامر الرسول ﷺ والانتهاز عمّا نهى عنه، ومنها قوله تعالى: " وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا "، والأخذ بما جاء به الرسول والانتهاز عمّا نهى عنه يعني بدهة حجّية السنة وحفظها.

5 - جملة من الآيات تفرض على المسلمين اتباع النبي ﷺ، ومنها قوله تعالى: " قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ " ¹⁰، وهذا يقتضي حفظ السنة وحجّيتها ليتحقّق معنى الاتّباع.

6 - أحاديث كثيرة يأمر فيها الرسول ﷺ بالتبليغ عنه ومنها قوله: " ألا فليبلّغ الشاهد الغائب "، والأمر بالتبليغ يقتضي حجّية السنة وحفظها.

7 - بين الرسول ﷺ أنّ سنته ستحفظ، ودعا بالخير لمن يبلّغها فقال: " نصر الله امرأً سمع منا حديثاً فحفظه حتّى يبلّغه غيره، فربّ حامل فقه ليس بفقيه، وربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه " ¹².

8 - حذر الرسول ﷺ من إدخال في السنة ما ليس منها فقال: "من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار"¹³ والتحذير من الكذب على الرسول ﷺ يقتضي حجّية السنة وحفظها.

9 - أمر الرسول ﷺ بصيانة سنته من كل الشوائب والبدع فقال: "كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار"

10 - حذر النبي ﷺ من الإعراض عن السنن التي سنّها استغناء بالقرآن الكريم، ووبّخ من يفعل ذلك فقال: "يوشك الرجل متكئاً على أريكته يحدث بحديث من حديثي فيقول بيننا وبينكم كتاب الله عزّ وجلّ، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام استحرمناه، ألا وإنّ ما حرم رسول الله ﷺ مثل ما حرم الله" وهذا يدلّ على حجّية السنة وحفظها.

11 - أمر الرسول ﷺ أن تكون أعمال المسلم موافقة لسنته وإلا فهي مردودة عليه فقال: "مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ"¹⁵، وموافقة سنته يستلزم حجّيتها وحفظها.

فهذه النصوص الشرعية التي تأمر بطاعة الله تعالى، وطاعة الرسول ﷺ والأخذ بما جاء به وترك ما نهى عنه، وتفرض أتباعه والرجوع إليه في المنازعات وغيرها، وتحذّر من مخالفته وعصيانه، وتأمر بالتبليغ وتنهى عن الكذب، تعني قطعاً حجّية الوحي بقسميه القرآن والسنة النبوية التي لا يتحقّق العمل بها إلا إذا كانت محفوظة

المبحث الثاني: تحديد المصطلحات

من الألفاظ التي وقع في معانيها خلط كبير، ومصطلح التدوين والكتابة والتأليف والتصنيف، حيث أدى عدم ضبط معاني هذه الكلمات إلى غلط فاحش، واستنتاجات خاطئة، فاشتهر بين بعض الباحثين في مصادر الشريعة، رأي يؤكد أنّ السنة النبوية لم تكتب زمن النبوة، بل ظلت تنقل بالرواية الشفهية حتّى القرن الثاني الهجري الذي بدأ فيه تدوين السنة.

وهذا الرأي وجد فيه خصوم السنة الباب مفتوحاً على مصراعيه، للتشكيك في صحّة السنة النبوية، وإبطال حجّيتها، لكنّ دقّة الفروق بين التدوين والكتابة، تكشف الحقيقة، وتسقط الحجج الواهية، ولا تدع مجالاً للشكّ في كتابة السنة النبوية في عهد النبوة.

الكتابة: "كتب الشيء يكتبه كتباً وكتاباً وكتابة وكتبه خطّه"¹⁶، فالكتابة تعني عند الإطلاق مجرد النسخ والخطّ على ورقة أو صحيفة أو لوح أو جدار، وهي تتحقّق في الشيء القليل، ويطلق على الرسالة المكتوبة اسم كتاب.

التدوين: الديوان مجتمع الصّحف¹⁷، وقال ابن الأثير: هو الدفتر الذي يكتب فيه¹⁸، وهذا يعني أنّ التدوين عبارة عن عملية تجميع الصّحف المكتوبة في دفتر كبير يسمّى الديوان، وهو لا يرادف الكتابة لأنّه أوسع وأشمل منها ولا يتحقّق إلاّ في الشّيء الكثير.

التأليف: "ألّف بينهم تأليفا إذا جمعت بينهم بعد تفرّق، وألّفت الشّيء تأليفا إذا وصلت بعضه ببعض ومنه تأليف الكتب"¹⁹، فالتأليف هو جمع المتفرّق وضمّ بعضه إلى بعض في كتاب واحد.

التصنيف: "الصّنف والصّنف النّوع والضرب من الشّيء... والجمع أصناف وصنوف والتصنيف تمييز الأشياء بعضها من بعض وصنّف الشيء ميّز بعضه من بعض، وتصنيف الشّيء جعله أصنافا"²⁰، فالتصنيف هو الترتيب والتمييز والتبويب، وهذا يعني أن يكون الكتاب مقسّما إلى أبواب وفصول.

وهذا يتّضح أنّ التدوين غير الكتابة، فكتابة الحديث كانت في عهد النبيّ ﷺ، وتدوين الأحاديث والسّنن بدأ في مطلع القرن الثاني الهجري، فقد ثبت بالنقل الصحيح أنّ عمر بن عبد العزيز قد أمر بتدوين الحديث النبوي، روى ذلك الإمام البخاري في صحيحه في باب كيف يقبض العلم فقال: "وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم انظر ما كان من حديث النبيّ ﷺ فاكتبه، فإنّي خفت دروس العلم وذهاب العلماء، ولا تقبل إلاّ حديث النبيّ ﷺ ولتفشوا العلم، ولتجلسوا حتّى يعلم من لا يعلم فإن العلم لا يهلك حتّى يكون سرا"²¹.

قال ابن حجر: يستفاد منه ابتداء تدوين الحديث النبوي، وكانوا قبل ذلك يعتمدون على الحفظ، فلمّا خاف عمر ابن عبد العزيز وكان على رأس المائة الأولى من ذهاب العلم بموت العلماء، رأى أنّ في تدوينه ضبطا له وإبقاء وقد روى أبو نعيم في تاريخ أصبهان هذا الأمر بلفظ: كتب عمر بن عبد العزيز إلى الآفاق انظروا حديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأجمعه"²².

فالحديث النبوي مرّ بمرحلة الكتابة أوّلا، والصّحف التي كتبها بعض الصّحابة زمن النبوة خير دليل على ذلك، ثمّ جاءت مرحلة التدوين التي بدأت في مطلع القرن الثاني الهجري، ثمّ بعد ذلك نشط التأليف والتصنيف، ثمّ بدأت مرحلة الموسوعات الحديثية التي ازدهرت في منتصف القرن الثاني الهجري.

الحديث والأثر والخبر

الحديث لغة: نقيض القديم، والحدوث نقيض القدمة، حدث الشّيء يحدث حدوثا وأحدثه، فهو محدث وحديث و"الحديث الخبر يأتي على القليل والكثير، ويجمع على أحاديث على غير قياس، كقطع وأقاطع"²³، قال تعالى: "أتحدّثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجّوكم به عند ربّكم أفلا تعقلون"²⁴.

وقد سمى رسول الله ﷺ كلامه حديثا، حين سأله الصحابي الجليل أبو هريرة _ قائلا: "من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال له رسول الله ﷺ: لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أولى منك، لما رأيت من حرصك على الحديث" ²⁵.

الحديث اصطلاحا:

اعتبر جمع من المحدثين أنّ الحديث هو "ما أضيف إلى النبي ﷺ قولاً أو فعلاً أو تقريراً أو صفة" ²⁶ وقيل أيضاً: "الحديث هو" أقوال النبي ﷺ وأفعاله وأحواله" ²⁷.

وقال ابن تيمية: الحديث النبوي هو عند الإطلاق ينصرف إلى ما حدث به عنه بعد النبوة، من قوله وفعله وإقراره فإن سنته ثبتت من هذه الوجوه الثلاثة ²⁸.

وهذه التعاريف كلها متقاربة المعنى، فالأحوال تعني صفاته الخلقية والخلقية، وبناء عليه، لا يشمل هذا التعريف الحديث الموقوف الذي أضيف للصحابي، ولا الحديث المقطوع الذي أضيف للتابعي، وقد ذهب إلى هذا الرأي الإمام محمد بن يوسف الكرمانى في كتابه "الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري" ²⁹، وقوى هذا الرأي صنيع المحدثين حيث ذكروا الصحابة في طبقات رواة الحديث، وأيضاً فإن غالباً ما يتبادر إلى الذهن من إطلاق لفظ الحديث هو ما أضيف إلى النبي ﷺ، ولكن بعض المحدثين لم يجعل الحديث خاصاً بما أضيف للنبي ﷺ بل أدخل فيه ما أضيف للصحابة والتابعين، قال ابن حجر العسقلاني: "الخبر عند علماء هذا الفن مرادف للحديث" ³⁰، وقال الإمام السيوطي: "فيطلقان على المرفوع والموقوف والمقطوع" ³¹.

ومما يقوى هذا الرأي ما جرى عليه عمل المحدثين، حيث أوردوا في كتب متون الحديث، الأحاديث المرفوعة والموقوفة والمقطوعة، كالموطأ للإمام مالك وغيره، ورغم هذا الاختلاف بين المحدثين، فإنهم اتفقوا على أنّ الحديث المرفوع أعلى درجة من الموقوف والمقطوع، كما أنّ المانعين من إطلاق لفظ الحديث جوّزوا ذلك مع القيد، فيقال هذا حديث مرفوع، وهذا حديث موقوف، وذلك خشية الالتباس، لأن لفظ الحديث إذا أطلق فيغلب عليه ما أسند للنبي ﷺ.

وقد قيل أيضاً في تعريف الحديث: "هو ما أضيف للنبي ﷺ من قول أو فعل" وأخرجوا التقرير والأوصاف، لأنها في نظرهم ليست من معنى الحديث، واكتفى آخرون بتعريف الحديث حسب معناه اللغوي فقط فقالوا: "الحديث هو ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول" ³².

وعرف الأصوليون الحديث حسب فئهم، ونظروا إليه من زاوية التشريع، فقالوا: الحديث هو ما أضيف للنبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير" ³³.

الخبر: الخبر مرادف للحديث³⁴، وقيل الخبر عام لقول كل إنسان، والحديث خاص بالنبي ﷺ فكل حديث خبر وليس كل خبر حديثاً³⁵.

الأثر: أعم من الحديث والخبر³⁶.

السنة لغة: يراد بالسنة في اللغة عدة معان منها:

1 - الطريقة والسيره حسنة كانت أو قبيحة، قال الشاعر:

فلا تجزعنّ من سيرة أنت سرتها فأول راضي سنة من يسيرها³⁷.

وفي هذا المعنى جاء قوله ﷺ: "من سنّ في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجزره شيء، ومن سنّ في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها، ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء"³⁸.

2 - الاهتمام بالشيء والعناية به: من ذلك قولهم: فلان سنّ الإبل، إذا أحسن رعايتها³⁹.

3 - تتابع الشيء وتواليه من غير تفريق: من ذلك قولهم: فلان سنّ الماء إذا صبّه، ووالى في ذلك وتابعه⁴⁰.

السنة اصطلاحاً: استعملت السنة في الاصطلاح بمعنيين، عام وخاص.

المعنى العام: تطلق السنة على تعاليم الشريعة الإسلامية، المنصوص عليها في القرآن والحديث، والمستنبطة

منهما وفي هذا المعنى وردت أحاديث كثيرة، منها:

قوله ﷺ: "من رغب عن سنتي فليس مني"⁴¹.

وقوله: "إنّ أول ما بدأ به في يومنا هذا أن نصلي، ثمّ نرجع فننحر، من فعله فقد أصاب سنتنا، ومن ذبح

قبل، فإنّما هو لحم قدّمه لأهله، ليس من النّسك في شيء"⁴².

فالسنة بهذا المعنى تعني تعاليم الشريعة الإسلامية، سواء كانت في القرآن أو الحديث، فمن كان موافقاً في

أعماله لها، قيل عنه فلان على سنة، ومن كان مخالفاً لها قيل فلان على بدعة.

المعنى الخاص

السنة بالمعنى الخاص مغايرة للقرآن الكريم، وتعني الأحاديث المروية عن الرسول ﷺ⁴³، وقد وردت

طائفة من الأحاديث تدلّ على ذلك ومنها:

قوله صلى الله عليه وسلم: "يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء، فأعلمهم بالسنة، فإن

كانوا في السنة سواء، فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء، فأقدمهم سلماً، ولا يؤمّن الرجل الرجل في

سلطانه، ولا يقعد في بيته على تكرمته إلا بإذنه"⁴⁴. وقوله ﷺ: "تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما، كتاب الله وسنة نبيه"⁴⁵.

وحين جاءت الجدة إلى أبي بكر - تسأل ميراثها قال لها: مالك في كتاب الله شيء، وما علمت لك في سنة رسول ﷺ فارجعي حتى أسأل الناس"⁴⁶.

بهذين المعنيين استعملت السنة، ثم بدأ الاختلاف في تعريفها بين علماء الأصول والفقه والحديث والعقيدة، كل يعرفها حسب الموضوع الذي يبحث فيه.

وذهب بعضهم إلى تخصيص السنة بالعمل المتواتر المنقول عن النبي ﷺ ثم الصحابة من بعده، ثم التابعين إلى أن وصل إلينا، ولعل المراد بذلك ما ذهب إليه الإمام مالك من تقديم عمل أهل المدينة على حديث الآحاد، أو قول عبد الرحمن بن مهدي حين سئل عن الإمام الأوزاعي وسفيان الثوري ومالك بن أنس: أيهم أعلم؟ فقال: الأوزاعي إمام في السنة، وليس بإمام في الحديث، وسفيان إمام في الحديث وليس بإمام في السنة، ومالك إمام فيها معاً"⁴⁷، وفي رواية أخرى: "الثوري إمام في السنة، إمام في الحديث، وشعبة بن الحجاج إمام في الحديث وليس بإمام في السنة"⁴⁸.

إلا أن ابن الصلاح اعتبر معنى السنة في جواب ابن مهدي مقابلاً للبدعة، حيث أنه من الممكن أن ينتسب رجل إلى أهل الحديث وهو مبتدع، وكان الإمام مالك رحمه الله جامعاً بين العلم بالحديث ومعتقد السنة"⁴⁹.

المبحث الثالث: تدوين السنة النبوية

مرّ تدوين السنة النبوية بأربع مراحل: مرحلة الكتابة في عهد النبوة، ثم في عهد الصحابة، ثم التدوين في عهد التابعين ثم كثر التأليف والتصنيف، والموسوعات الحديثية إلى عصرنا الحاضر.

المرحلة الأولى: كتابة السنة في عهد النبوة

مرّت كتابة السنة في عهد النبوة بمرحلتين:

أ- مرحلة النهي عن الكتابة: وردت أحاديث تفيد نهى النبي ﷺ الصحابة عن كتابة الحديث ومنها:

1- روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري إن رسول الله ﷺ قال: "لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحاه، وحدثوا عني ولا حرج"⁵⁰.

2- روى الترمذي بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: "استأذنا النبي ﷺ في الكتابة فلم يأذن لنا"⁵¹.

3- روى الإمام أحمد بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "كنا قعوداً نكتب ما نسمع من النبي ﷺ فخرج علينا فقال: "ما هذا تكتبون؟" فقلنا ما نسمع منك، فقال: "أكتب مع كتاب الله، فقلنا ما نسمع فقال: "اكتبوا كتاب الله، أحضوا كتاب الله وأخلصوه، أكتب غير كتاب الله، أحضوا كتاب الله أو خلصوه، قال

فجمعنا ما كتبنا في صعيد واحد ثم أحرقناه بالنار، قلنا أي رسول الله أنتحدث عنك، قال: "نعم تحدثوا عني ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً، فليتبوأ مقعده من النار"⁵².

ب - مرحلة السماح بالكتابة: وردت أحاديث عديدة تفيد السماح بكتابة الحديث ومنها:

1 - روى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "ما من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحد أكثر حديثاً عنه مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب"⁵³.

2 - روى أبو داود بسنده عن عبد الله بن عمرو قال: "كنت أكتب كل شيء أسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه فنهتني قريش وقالوا أكتب كل شيء تسمعه، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بشر يتكلم في الغضب والرضا، فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأوماً بأصبعه إلى فيه فقال: "اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق"⁵⁴

3 - روى الطبراني في الكبير بسنده عن رافع بن خديج: "قلت يا رسول الله إننا نسمع منك أشياء أفنكتبها؟ قال: "اكتبوا ولا حرج"⁵⁵.

4 - كتابة النبي صلى الله عليه وسلم للصحيفة بين المهاجرين والأنصار، وبين المسلمين واليهود⁵⁶.

5 - روى البخاري بسنده عن أبي هريرة قال: "طلب رجل من أهل اليمن يوم فتح مكة من الصحابة أن يكتبوا له خطبة النبي صلى الله عليه وسلم بعد الفتح فاستأذنا النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك فقال: "اكتبوا لأبي شاه"⁵⁷.

6 - كتب النبي صلى الله عليه وسلم كتاب الصدقات والديات والفرائض والسنن لعمرو بن حزم⁵⁸.

التوفيق بين النهي والإباحة

ذهب أغلب العلماء إلى أن النهي كان في أول الإسلام، مخافة اختلاط الحديث بالقرآن، فلما أمن الالتباس سمح لهم النبي صلى الله عليه وسلم بكتابة الحديث، فكانت أحاديث الإباحة ناسخة لأحاديث المنع⁵⁹، إلا أن الدكتور عبد الغني عبد الخالق استبعد النسخ أصلاً، واعتبر لكل حالة حكمها، فالنهي يدور مع الخوف، والإذن يدور مع الأمن⁶⁰.

المبحث الرابع: الصحف التي كتبت في عهد النبوة:

1 - صحيفة سعد بن عبادة الأنصاري، التي رواها الإمام الترمذي في سننه في كتاب الأحكام باب اليمين مع الشاهد⁶¹.

2 - صحيفة عبد الله بن أبي أوفى، وقد أخرجها البخاري في الجامع الصحيح، في كتاب الجهاد أبواب الصبر عند القتال⁶².

3 - صحيفة سمرة بن جندب، فيها طائفة من الأحاديث، قال ابن سيرين: "في رسالة سمرة إلى بنيه علم كثير"⁶³ وقد أخرج البخاري أول هذه الرسالة في التاريخ الكبير⁶⁴.

- 4 - كتاب أبي رافع مولى النبي ﷺ الذي اشتمل على افتتاح الصلاة⁶⁵.
 - 5 - صحيفة أبي هريرة⁶⁶، وقد طبعت بتحقيق الدكتور محمد حميد الله.
 - 6 - صحيفة أبي موسى الأشعري، وهي مخطوطة في مكتبة شهيد علي بتركيا⁶⁷.
 - 7 - صحيفة جابر بن عبد الله الأنصاري، التي تضمنت مناسك الحج، قال الذهبي: "وحمل عن النبي ﷺ علما كثيرا نافعا، وله منسك صغير في الحج، أخرجه مسلم"⁶⁸، وقد عثر على هذا الكتاب مخطوطا، في مكتبة شهيد علي بتركيا⁶⁹.
 - 8 - الصحيفة الصادقة لعبد الله بن عمرو بن العاص، وسميت الصادقة، لأنها أصدق ما يروى عنه ﷺ فقد كتبها عمرو بن العاص بإذن الرسول ﷺ، وبين يديه، وقد أخرج محتواها الإمام أحمد في مسنده⁷⁰.
 - 9 - كتاب أسماء بنت عميس رضي الله عنها، حيث جمعت فيه بعض أحاديثه ﷺ⁷¹.
 - 10 - كتاب عمرو بن حزم، حيث ولّاه الرسول ﷺ على اليمن، وأعطاه كتابا فيه الفرائض والسنن والديات وغير ذلك، وقد أخرج هذا الكتاب، كثير من المحدثين في كتبهم، منهم: أبو داود والدارمي والنسائي وابن حبان⁷².
 - 11 - الصحيفة الصحيحة لهمام بن منبه، وهو من أعلام التابعين، وكان قد لقي الصحابي الجليل أباهريرة. وجمع ماسمعه منه من أحاديث في صحيفة سماها الصحيفة الصحيحة، وقد طبعت هذه الصحيفة بتحقيق الدكتور محمد حميد الله، وقد أخرجها كاملة الإمام أحمد بن حنبل في مسنده⁷³، كما أخرج الكثير منها الإمام البخاري في الجامع الصحيح⁷⁴.
 - 12 - صحيفة أبي سلمة نبيب بن شريط الأشجعي الكوفي. وهي مخطوطة في دار الكتب الظاهرية⁷⁵.
 - 13 - كتاب رسول الله ﷺ في الصدقة، وكان عند آل عمر بن الخطاب، وهو الذي انتسخ منه الخليفة عمر بن عبد العزيز⁷⁶.
- وبهذا يتبين بطلان الرأي القائل: إن السنة لم تكتب في عصر الرسالة، والصحيح أن السنة كتبت في عهد النبي ﷺ وحفظت في الصدور والصحائف والسطور، وتلقاها التابعون عن الصحابة رضوان الله عليهم، وهناك عوامل كثيرة ساعدت على حفظها ونشرها، ومنها:
- المجالس العلمية
- استغرق نزول الوحي على النبي ﷺ ثلاثا وعشرين سنة، كان خلالها الصحابة رضوان الله عليهم يتلقون عن الرسول ﷺ أمور دينهم، ويلتقون به في الصلوات خمس مرات كل يوم، ويشهدون خطبته كل أسبوع من يوم الجمعة، عدا خطبه في المناسبات وما تقتضيه الحاجة، وهذه المدة الطويلة التي تزيد على المدة التي يمضيها الطالب

في التمدرس في عصرنا، لينال شهادة الدكتوراه، ارتبطت فيها سنن كثيرة بوقائع معينة، أدت إلى سهولة حفظها وترسيخها في الذهن، وكان الصحابة يحرصون كل الحرص على ملازمة النبي ﷺ، وإذا تعذر عليهم ذلك لأي ظرف من الظروف تناوبوا على حضور مجالسه، كما كان يفعل عمر بن الخطاب _ مع جاره⁷⁷.

حرص الصحابة على السنة

اجتمع في الصحابة رضوان الله عليهم صفتان لها أثر كبير في حفظ السنة النبوية:

أولاهما: نقاء الذاكرة العربية، وصفاء الذهن، وقوة الحافظة، وبراعة اللسان.

وثانيهما: حبهم للرسول ﷺ أكثر من أنفسهم، واستعدادهم للموت دونه، وبذلهم كل شيء من أجل نصره دينهم.

فهاتان الصفتان جعلتهم حريصين على تعلم شرائع الإسلام، وحفظ السنة النبوية، ويعلمون أبناءهم

الحديث كما يعلمونهم القرآن⁷⁸.

البعوث والوفود

كان من آثار صلح الحديبية، أن وضعت الحرب أوزارها، وأمن الناس على أرواحهم، وانتشر-

الإسلام، وتحققت له مكاسب عظيمة، ومنها:

أ- إرسال الكتب والبعوث: كتب النبي ﷺ الملوك والحكام لدعوتهم إلى الإسلام، وأرسل بعوثه إلى

القبائل التي أسلمت، يعلمونها شرائع الإسلام، فمنهم من أرسله إلى اليمن، ومنهم إلى البحرين، وآخرين إلى

اليامة وحضر موت وعمان وغيرها من البلدان العربية⁷⁹.

ب- الوفود: أقبلت الوفود على النبي ﷺ تعلن إسلامها، وتتلقى منه مباشرة أمور دينها، وقد تجاوز عدد

هذه الوفود السبعين وفداً⁸⁰، ومن هؤلاء الوفود: وفد بني سعد بن بكر، وعبد القيس، وتجب وثقيف وبني تميم

وبني أسد، ونجران، وبارق، ووفد بني حنيفة، وبني فزارة⁸¹، وقد كان النبي ﷺ يكرم وفوده غاية الإكرام ويعلمهم

الإسلام ثم يقول لهم: "احفظوه وأخبروه من وراءكم"⁸².

المرحلة الثانية: تدوين السنة في عهد الصحابة رضي الله عنهم

تلقى الصحابة رضوان الله عنهم الحديث مشافهة من النبي ﷺ، ومن مشاهدتهم لأفعاله وتقريراته ومن

سماع من سمع منه ﷺ، وقد تفاوتوا في تحمّل الحديث قلّة وكثرة، واختلفوا في فهم الحديث ومعرفة الناسخ

والمسنوخ والعام والخاص، والمطلق والمقيّد، والمجمل والمفسّر، ولقوة حفظهم، وسيلان أذهانهم، وقلّة الكتابة

فيهم، فإيتهم لم يدونوا السنن، واكتفوا بروايتها مشافهة كي لا يشغلوا الناس بها عن كتاب الله تعالى، وكما وردت

أحاديث في النهي عن الكتابة وأخرى تبيحها، فقد تباينت مواقف الصحابة من كتابة الحديث، فمنهم من

كرهها، ومنهم من أجازها وآخرون روي عنهم الأمان، وهذه مواقفهم:

الصَّحابة الذين كَرَّهوا تدوين السنَّة:

- 1 - أتى عبد الله بن مسعود بصحيفة فيها حديث، فدعا بهاء فمحاها، ثم غسلها، ثم أمر بها فأحرقها، ثم قال: أذكر بالله رجلاً يعلمها عند أحد إلا أعلمني به، والله لو أعلم أنها بدار الهند لابتلغت إليها، بهذا هلك أهل الكتاب قبلكم حتى نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، كأثمهم لا يعلمون⁸³.
 - 2 - وردت روايات تدلّ على كراهية بعض الصحابة للكتابة، ومنهم: زيد بن ثابت، وأبو هريرة، وعبد الله بن عباس، وأبو سعيد الخدري، وعبد الله بن عمرو، وأبو موسى الأشعري، وقد أوضح هؤلاء الصحابة أن سبب كراهتهم كتابة الحديث خوفهم من انشغال الناس بها، وانصرفهم عن القرآن الكريم⁸⁴.
- الصَّحابة الذين أجازوا الكتابة:

- 1 - كتب أبو بكر الصديق لأنس بن مالك فرائض الصدقة التي سنّها الرسول ﷺ⁸⁵.
 - 2 - كان عند عليّ صحيفة يعلّقها في سيفه، وفيها أسنان الإبل، وأشياء من الجراحات، وحرم المدينة ولا يقتل مسلم بكافر⁸⁶.
 - 3 - وردت أخبار عن سماح بعض الصحابة بالكتابة، ومنهم: أم المؤمنين عائشة وأبو هريرة، وسعد بن عباد ومعاوية بن أبي سفيان، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص، والبراء بن عازب وأنس بن مالك، والحسن بن علي، وعبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهم⁸⁷.
- وسبب اختلاف الصحابة في كتابة السنّة وتدوينها، ورود النهي عن الكتابة وإباحتها، واعتمادهم على ملكاتهم القوية في الحفظ، وخشية أن تختلط صحائفها بالقرآن الكريم على الداخلين في الإسلام، فمن أمن منهم اللبس واختلاطها بالقرآن أجازها.

منهج الصحابة في التعامل مع رواية الحديث

اجتهد الصحابة بعد وفاة الرسول ﷺ في الحفاظ على حديثه وسننه، وفق منهج واضح يتمثل في:

1 - الإقلال من الرواية

حرص الصحابة رضوان الله عليهم على أن لا ينشغل الناس بالحديث وينصرفوا عن القرآن الكريم، ويجنبوا الكثيرين في الرواية شبهة الكذب على رسول الله ﷺ لاحتمال وقوعهم في الخطأ والنسيان من حيث لا يشعرون، ويفوتوا الفرصة على المنافقين الذين قد يتخذون من شيوع الحديث عن الرسول ﷺ وسيلة للتزيّد في الحديث عنه والكذب عليه، فوجدوا الرواية عنه حسب الحاجة خير وسيلة لتحقيق هذه الأهداف مع

سعة حفظهم وكثرة سماعهم للأحاديث وعملهم بها، قال ﷺ: "إياكم وكثرة الحديث عني، فمن قال عليّ فليقل حقاً أو صدقاً، ومن تقوّل عليّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار" 88.

2 - الثبوت من الرواية:

كان الصحابة يقبلون الروايات التي اطمأنت إليها قلوبهم، ولم يشكوا في حفظ وضبط رواياتهم، وأما إذا وقع لهم شك في رواية ما، فإنهم يتثبتون بطلب البيّنة، قال الحافظ الذهبي في أبي بكر: "وكان أول من احتاط في قبول الأخبار" 89، وعلى نفس النهج سار عمر - كما في حديث استئذان أبي موسى الأشعري - 90.

3 - توثيق الرواية:

اهتمّ الصحابة بتوثيق الرواية زيادة في الاحتياط، فكان الصحابي يذكر عدد المرات التي سمع فيها الحديث من الرسول ﷺ، ومن حضر معه، أو تاريخ سماعه، أو المناسبة التي قيل فيها الحديث، أو الحال التي كان عليها الرسول ﷺ أثناء حديثه، روى البخاري بسنده عن المغيرة بن شعبة عن عمر - أنه استشارهم في إملاص المرأة، فقال المغيرة قضي النبي ﷺ بالغرة عبد أو أمة"، قال ائت من يشهد معك، فشهد محمد بن مسلمة أنه شهد النبي ﷺ قضي به" 91.

4 - نقد الروايات:

بعد وفاة النبي ﷺ وضع الصحابة رضي الله عنهم قواعد تحفظ سلامة أحاديث النبي ﷺ من التحريف بعد أن لم يعد ممكناً الرجوع إليه للتأكد والثبوت، فكانوا يعرضون الروايات على كتاب الله تعالى، وما حفظوه من سنة رسول الله ﷺ، وقواعد الشرع التي استقرت في أذهانهم، فإن وافقتها أمضوها وقبلوها، وإن خالفها توقّفوا فيها وتثبتوا حتى يزيل اليقين شكوكهم، بحديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها 92.

5 - التحديث على قدر عقول الناس:

كان النبي ﷺ يخصّ بعض أصحابه بعلم معين، وينهاهم عن تحديث الناس به خشية سوء الفهم والفتنة، روى البخاري بسنده عن أنس بن مالك - أن النبي ﷺ ومعاذ رديفه على الرّحل قال يا معاذ بن جبل، قال لبيك يا رسول الله وسعديك، قال يا معاذ، قال لبيك يا رسول الله وسعديك ثلاثاً، قال ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمّداً رسول الله صدقاً من قلبه إلاّ حرّمه الله على النار، قال يا رسول الله أفلا أخبر به الناس فيستبشروا؟ قال إذا يتكلوا"، وأخبر بها معاذ عند موته تأمّماً" 93، وقال رسول الله ﷺ: "كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكلّ ما سمع" 94.

لذلك أمسك الصحابة عن التحديث بما يؤدّي لإثارة الفتن، واستغلال ظاهر النصوص في تأييد الظلم والبدع

ومع أنّ السنّة لم تدوّن رسمياً في عهد الخلافة الرّاشدة إلاّ أنّ كتابة الحديث كانت مستمرّة حتّى بلغت ذروتها في آخر عهدهم، فكتبت الكرايس الكثيرة في السنّة النبوية، وحتّى الصّحابة الذين كانوا يعتمدون على حفظهم فإنّهم كتبوا بعض الأحاديث عند الحاجة، ومنهم:

- 1 - كتب أبو بكر_ رسالة إلى أنس بن مالك_ عندما أرسله إلى البحرين، بيّن له فيها فريضة الزّكاة وكيفية أخذها وتوزيعها ومقاديرها، وقد نسخها من كتاب كان عنده عن النّبِيِّ ﷺ⁹⁵.
- 2 - كتب عمر بن الخطّاب_ إلى عمّاله في الصدقات بمثل كتاب النّبِيِّ ﷺ إلى عمرو بن حزم⁹⁶.
- 3 - كتب عبد الله بن الزّبير رسالة إلى قاضيه عبد الله بن عتبة بن مسعود، يجيبه فيها عن سؤاله عن الجد⁹⁷.
- 4 - كتاب معاذ بن جبل_ عن النّبِيِّ ﷺ⁹⁸.

تدوين السنّة في عهد التابعين وتابعيهم

تلقى التابعون الرّواية على أيدي الصّحابة وتأثروا بهم في الفكر والمنهج والمسلك، واختلفوا مثلهم في الكتابة فمنهم من كرّرها وبقي معتمدا على حفظه، ومنهم من أجازها:

التابعون الذين كرّروا الكتابة منهم

- 1 - عبيدة بن عمرو السّلماني (ت 72هـ).
- 2 - إبراهيم بن زيد (ت 93هـ).
- 3 - إبراهيم بن يزيد النّخعي (ت 96هـ)⁹⁹.

التابعون الذين أجازوا الكتابة، منهم:

- 1 - همام بن منبه (ت 80هـ) وكانت له الصّحيفة الصّحيحة التي رواها عن أبي هريرة_ قبل وفاته سنة 59هـ، وقد وصلت كاملة كما كتبها، وطبعت مرّات عديدة.
- 2 - سليمان بن قيس اليشكري (ت 80هـ) كان من الملازمين للصّحابي جابر بن عبد الله_ وكتب أحاديثه في صحيفة مشهورة في البصرة باسم "صحيفة جابر"، وقد سئل صديقه أبو سفيان طلحة بن نافع: لم لا تحدّث عن جابر كما يحدّث سليمان اليشكري؟ قال: إنّ سليمان كان يكتب، وإنّي لم أكن أكتب¹⁰⁰.
- 3 - سعيد بن جبير (ت 94هـ) وهو من تلاميذ ابن عبّاس رضي الله عنهما، وكان يكتب كلّ ما يسمعه منه ويقول: "ربّما كنت عند ابن عبّاس فكتبت في صحيفتي حتّى أملاها"¹⁰¹.
- 4 - سالم بن أبي الجعد (ت 97) من علماء الكوفة كان يكتب الحديث، فقد سألوا إبراهيم النّخعي: ما لسالم بن أبي الجعد أتّم حديثاً منك؟ قال لأنّه كان يكتب¹⁰².

ثم انتشرت الكتابة وصارت ملازمة لحلق العلم، بعد كثرة الرواية، وشدة الاعتناء بالإسناد، وظهور البدع، وفشو ظاهرة الوضع في الحديث، وضعف ملكة الحفظ، وموت كثير من حفاظ السنة من الصحابة والتابعين، وزوال أسباب الكراهية، والخوف من ضياع العلم، قال ابن حجر: قال العلماء: كره جماعة من الصحابة والتابعين كتابة الحديث، واستحبوا أن يؤخذ عنهم حفظاً كما أخذوا حفظاً، لكن لما قصرت المهمم، وخشي الأئمة ضياع العلم دونوه "103.

وما إن دخلت سنة 70هـ حتى ازدهرت الحركة العلمية في جميع المدن الإسلامية، وقام علماء التابعين بجمع السنة النبوية وأقوال الصحابة وفتاويهم ونسخها في كتب واستمرت هذه العملية ثلاثين سنة، روى الخطيب البغدادي بسنده أن صالح بن كيسان قال: اجتمعت أنا والزّهري ونحن نطلب العلم فقلنا نكتب السنن فكتبنا ما جاء عن النبي ﷺ، ثم قال نكتب ما جاء عن أصحابه فإنه سنة، فقلت أنا ليس سنة فلا نكتبه، قال فكتب ولم أكتب فأنجح وضيّعت "104.

وأمر أمير مصر عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي كثير بن مرة الحضرمي - وكان قد أدرك بحمص سبعين صحابياً - أن يكتب إليه أحاديثهم فقال: "اكتب إليّ بها سمعت من أصحاب رسول الله ﷺ من أحاديثهم إلا حديث أبي هريرة فإنه عندنا" ¹⁰⁵، ويعلق الدكتور محمد عجّاج الخطيب على هذه الرواية بقوله: "إلا أنّ المصادر لم نخبرنا عن امتثال كثير بن مرة للأمير" ¹⁰⁶، وهو يدلّ أيضاً على أنّ أحاديث أبي هريرة - كانت مكتوبة.

التدوين الرسمي للسنة النبوية

في نهاية القرن الأول الهجري أمر الخليفة عمر بن عبد العزيز رسمياً بتدوين السنة النبوية، روى الإمام البخاري في صحيحه في باب كيف يقبض العلم فقال: "وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم انظر ما كان من حديث النبي ﷺ فاكتبه، فإنّي خفت دروس العلم وذهاب العلماء ولا تقبل إلا حديث النبي ﷺ ولتفشوا العلم ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرّاً" ¹⁰⁷.

وروى ابن عبد البر بسنده أن ابن شهاب الزّهري قال: أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن، فكتبناها دفترًا دفترًا فبعث إلى كل أرض له عليها سلطان دفترًا" ¹⁰⁸.

وقال ابن حجر العسقلاني: وأول من دون الحديث ابن شهاب الزّهري على رأس المائة بأمر عمر بن عبد العزيز ثم كثر التدوين، ثم التصنيف، وحصل بذلك خير كثير، فله الحمد "109.

وفي القرن الثاني الهجري تطوّر التدوين من التأليف إلى التصنيف الذي يهتم بالترتيب والتبويب والتمييز وجمع الأحاديث المتناسبة في باب واحد، ثم جمع مجموعة من الأبواب في مصنّف واحد.

وكانت المصنّفات في هذا العهد تحمل عناوين "موطأ، مصنّف، جامع، سنن، الجهاد، المغازي، السير".

ثمّ جاء القرن الثالث الهجري الذي يعتبر العصر الذهبي للسنة النبوية وعلومها، والحدّ الفاصل بين المتقدّمين والمتأخّرين من نقاد الحديث، ففيه نشطت الرّحلات العلمية، ودوّنت الكتب الستة التي اعتمدها الأمة، وظهر أئمة الحديث وجهابذته.

الموسوعات الحديثية الإلكترونية

قدّمت التقنية العلمية المعاصرة، خدمات جلييلة في ميدان العلم والمعرفة، وتمّ على غرارها إنشاء برامج حاسوبية تميّز بالدقّة، والسرعة الفائقة في آليات البحث، ومن نتاجها الموسوعات الحديثية التي ساهمت في الوصول إلى الحديث في وقت أقصر، وجهد أقلّ، إضافة إلى الخدمات الملحقه به، وهذه الموسوعات العلمية انتشرت بكثرة في عصرنا وأهمّها:

1- موسوعة الحديث الشريف، وهي تتضمّن كتب الحديث التسعة، إنتاج شركة صخر، وحرف، التي تأسّست سنة 1982م، وبدأت إنتاج البرامج الإسلامية سنة 1985م.

2- الموسوعة الذهبية في الحديث الشريف وعلومه، وقد اشتملت على أكثر من أربعمئة مجلداً، وقد أنتجها مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي سنة 1997م.

3- الموسوعة الألفية للسنة النبوية، وقد اشتملت على أكثر من ألف وثلاثمئة مجلداً.

4- موسوعة المكتبة الشاملة، وتضمّ أغلب المصادر الحديثية، وبقية العلوم الإسلامية.

ورغم المحاسن الكثيرة التي تقدمها هذه الموسوعات الإلكترونية، إلا أنّها لا تخلو من سلبيات، لاشتمالها على أخطاء متعدّدة، يمكن تفاديها بالرجوع للمصادر الأصلية.

نتائج البحث

بناء على ما تقدّم من عرض لنشأة علم تاريخ السنة النبوية، ومراحل تدوينها، فإنّ أهمّ النتائج التي توصلت إليها خلال هذا البحث، مايلي:

1- لايزال علم تاريخ السنة النبوية بحاجة إلى المزيد من البحث، والتأليف فيه.

2- إثبات كتابة الحديث في عهد النبوة.

3- إثبات حجّية السنة النبوية.

4- شدّة عناية المسلمين بسنة نبيهم ﷺ.

5- للمسلمين دور كبير في نشر العلم في ربوع العالم.

6- تطوير خدمات الموسوعات الحديثية الإلكترونية، وضرورة تدقيقها.

المصادر والمراجع

1. سورة النساء . الآية 59
2. سورة التور . الآية 63
3. سورة . آل عمران . الآية 32
4. سورة النساء . الآية 80
- 5- إسماعيل بن عمر بن كثير - تفسير القرآن العظيم - تح: سامي بن محمد سلامة - دار طيبة للنشر والتوزيع - ط2 - 1999م - 345/2
6. سورة التحل . الآية 44
7. سورة النساء . الآية 59
8. سورة النساء . الآية 59
9. سورة الحشر . الآية 9
10. سورة . آل عمران . الآية 31
11. محمد بن إسماعيل البخاري . الجامع الصحيح . كتاب الحج . باب الخطبة أيام منى . دار السلام . الرياض . ط2 . 1999 م . ص 280 . رقم 1739
12. محمد بن عيسى الترمذي . الجامع . كتاب العلم . باب ماجاء في الحث على تبليغ السماع . ص 603 . رقم 2656 . قال أبو عيسى : حديث زيد بن ثابت حديث حسن .
13. البخاري . الجامع الصحيح . كتاب الجنائز . باب مايكره من التباحة على الميت . ص 206 . رقم 1291
- 14- محمد بن يزيد ابن ماجة القزويني . السنن . كتاب السنة . باب تعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . ط1- دار السلام - الرياض - السعودية 1999م - ص 2 . رقم 12 . قال الشيخ الألباني : "صحيح" . انظر الألباني . صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته . المكتب الإسلامي . 1/1415 . رقم 14146
- 15 - البخاري تعليقا - الجامع الصحيح - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة - باب إذا اجتهد العامل - ص 6424 - ورواه مسلم - الجامع الصحيح - كتاب الأقضية - باب نقض الأحكام الباطلة - ص 762 - رقم 4492
- 16 . محمد بن مكرم بن منظور . لسان العرب . دار صادر . بيروت . ط1 . 1/698
- 17 . ابن منظور . لسان العرب . دار صادر . بيروت . ط1 . 13/143
- 18 . المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير . النهاية في غريب الأثر . تحقيق طاهر أحمد الزاوي و محمود محمد الطناحي . المكتبة العلمية . بيروت . 1979م . 2/371

- 19 . ابن منظور . لسان العرب . دار صادر . بيروت . ط 1 . 9/9
- 20 . ابن منظور . لسان العرب . دار صادر . بيروت . ط 1 . 189/9
- 21 . البخاري . الجامع الصحيح . كتاب العلم . باب كيف يقبض العلم ؟ . ص 22 . رقم الحديث 34
- 22 . أبو نعيم الأصبهاني . تاريخ أصبهان . 159/1 . وانظر ابن حجر . فتح الباري . 194/1 . 195
- 23 . ابن منظور . لسان العرب . 131/2 . 133
- 24 . سورة البقرة . الآية 76
- 25 . البخاري . الجامع الصحيح . كتاب الرقاق . باب صفة الجنة والنار . ص 1136 . رقم الحديث 6570
- 26 . جمال الدين القاسمي . قواعد التحديث في فنون مصطلح الحديث . دار الكتب العلمية . بيروت . 1979م . ص 61
- 27 . الشيخ طاهر بن أحمد الجزائري . توجيه النظر إلى أصول الأثر . دار المعرفة . بيروت . لبنان . ص 2
- 28 . أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية - مجموع الفتاوى - إشراف الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين - تنفيذ مكتبة النهضة - القاهرة 1404 هـ - 6/18 . 7
- 29 - الإمام محمد بن يوسف الكرمانی - الكواكب الدراري شرح صحيح البخاري - ط 2 - دار إحياء التراث العربي - بيروت 1981م - 37/1
- 30 - أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني . شرح نخبه الفكر . ط 2 . مكتبة الغزالي . دمشق . سوريا . 1990م ص 7
- 31 - عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي - تدريب الراوي - ط 2 - منشورات المكتبة العلمية - المدينة المنورة - السعودية 1972م - 42/1
- 32 . انظر محمد الزفزاف . التعريف بالقرآن والحديث . مكتبة الفلاح . الكويت 1976م . ص 232
- 33 . الشيخ طاهر بن أحمد الجزائري - توجيه النظر إلى أصول الأثر - دار المعرفة - بيروت - لبنان . ص 3
- 34 . انظر ابن حجر . شرح نخبه الفكر - ط 2 - مكتبة الغزالي - دمشق - سوريا 1990م - ص 7
- 35 . انظر عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي - تدريب الراوي . 42/1 . 43
- 36 . انظر محمد بن عبد الرحيم السخاوي . فتح المغيث شرح ألفية الحديث . ط 1 . دار الكتب العلمية . بيروت . 1993م . 17/1
- 37 . أحمد بن فارس . مجمل اللغة . تح: زهير عبد المحسن . ط 2 . مؤسسة الرسالة . بيروت . 1986م . 1/
- 455 . والشاعر هو خالد بن عتبة الهدلي . وانظر ابن منظور . لسان العرب . 225/13
- 38 . مسلم بن الحجاج . الجامع الصحيح . كتاب الزكاة . باب الحث على الصدقة - ط 2 - دار السلام - الرياض 2000م . - ص 410 . 411 - رقم 2351
- 39 . أحمد بن فارس . مجمل اللغة . 455/1 . وانظر ابن منظور . لسان العرب . 225/13

- 40 . محمد بن يعقوب الفيروز أبادي - القاموس المحيط - المؤسسة العربية ودار الفكر - بيروت - لبنان .
239/5 . وانظر ابن منظور . لسان العرب . 227/13
- 41 البخاري . الجامع الصحيح . كتاب النكاح . باب الترغيب في النكاح . ص 906 . رقم الحديث
5063 . ورواه مسلم . الجامع الصحيح . كتاب النكاح . باب استحباب النكاح . ص 586 . رقم
الحديث 3403
- 42 . البخاري . الجامع الصحيح . كتاب الذبائح . باب سنة الأضحية . ص 986 - رقم الحديث 5545
- 43 - انظر محيي الدين بن شرف التّووي . تهذيب الأسماء واللغات . دار ابن تيمية . القاهرة . مصر . 1990م
. 156/2 .
- 44 - مسلم . الجامع الصحيح . كتاب المساجد ومواضع الصلاة . باب من أحقّ بالإمامة ؟ . ص 271 . رقم
الحديث 1532
- 45 - رواه الإمام مالك بلاغا . الموطأ رواية يحيى الليثي . إعداد أحمد راتب . ط 11 . دار النفائس . بيروت .
1990م . ص 648 . رقم الحديث 1619 - والحاكم - المستدرک علی الصحيحین - 172/1 -
وقال الشيخ الألباني: رواه مالك بلاغا والحاكم موصلا بإسناد حسن - " انظر الألباني - السنة - ص 18
- 46 - الترمذي - الجامع - كتاب الفرائض - باب ما جاء في ميراث الجدة - كتاب الجامع - النهي عن القول
بالقدر - ص 482 - رقم 2100
- 47 - القاضي عياض - ترتيب المدارك - 132/1
- 48 - ابن أبي حاتم الرازي - الجرح والتعديل - 19/2
- 49 - انظر ابن الصلاح - فتاوى ومسائل ابن الصلاح - تح: الدكتور عبد المعطي قلنجي - دار المعرفة -
بيروت - 213/1
- 50 - مسلم - الجامع الصحيح - كتاب الزهد - باب الثبّت في الحديث - ص 1297 - رقم 7510
- 51 - محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي . الجامع . كتاب العلم . باب ما جاء في كراهية كتابة العلم - وقال
روي هذا الحديث من غير هذا الوجه أيضا عن زيد بن أسلم رواه همام عن زيد بن أسلم - ص 605 -
رقم 2665 - قال الشيخ الألباني: صحيح - انظر الجامع الصحيح سنن الترمذي - تح: أحمد محمد
شاکر وآخرون - دار إحياء التراث العربي - بيروت - 38/5 - رقم 2665
- 52 - الإمام أحمد - المسند - مسند المكتنين من الصحابة - مسند أبي سعيد الخدري - مؤسسة قرطبة -
القاهرة - الأحاديث مذيبة بأحكام شعيب الأرنؤوط عليها - وقال شعيب الأرنؤوط : صحيح - 12/3
- 53 . البخاري . الجامع الصحيح . كتاب العلم . باب كتابة العلم . ص (24 . 25) . رقم الحديث 113
- 54 . أبو داود - السنن - كتاب العلم - باب في كتابة العلم - ص 523 - رقم 3646 - قال

- الألباني: "صحيح". انظر التسلسلة الصحيحة. مكتبة المعارف. الرياض. 54/4. رقم 1532
55. سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبراني. المعجم الكبير. تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي. باب الزاء.
- مكتبة العلوم والحكم. الموصل. ط2. 1983م. 276/4. رقم 4411 - قال نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير وفيه أبو مدرك روى عن رفاعه بن رافع وعنه بقية ولم أر من ذكره
- انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - دار الفكر - بيروت 1412هـ - 380/1
- 56 - انظر: أحمد بن حسين البيهقي - السنن الكبرى - تح: محمد عبد القادر عطا - مكتبة دار الباز - مكة المكرمة 1994م - ص 183 - وانظر: د. محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة - ط6 - دار التفائس - بيروت 1987م، ص (59. 62) - وهي نفس الصحيفة التي أخرج البخاري بعض ماجاء فيها- انظر البخاري - الجامع الصحيح - كتاب العلم - باب كتابة العلم - ص 24- رقم 111
57. البخاري. الجامع الصحيح. كتاب اللقطة. باب كيف تعرف لقطه أهل مكة ؟. ص (391. 392). رقم الحديث 2434
58. ابن حجر العسقلاني. الإصابة في تمييز الصحابة. دار إحياء التراث العربي. بيروت. 293/6- وانظر الحاكم- المستدرک على الصحيحين - 552/1
- 59 - انظر عبد الله بن مسلم بن قتيبة- تأويل مختلف الحديث- تح: أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي - ط2 - دار ابن القيم - السعودية- دار ابن عفان - مصر -2009م - ص 536- والحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي - المحدث الفاصل بين الراوي والواعي - تح: محمد عجاج الخطيب - ط3 - دار الفكر - بيروت 1404هـ - ص 386
- 60 - د/ عبد الغني عبد الخالق. حجية السنة. دار القرآن الكريم. ص 446
- 61 - الترمذي. الجامع. كتاب الأحكام. باب اليمين مع الشاهد. ص 324
- 62 - البخاري. الجامع الصحيح. كتاب الجهاد والسير. باب الصبر عند القتال. ص 469
- 63 - ابن حجر العسقلاني. تهذيب التهذيب. 207/4
- 64 - محمد بن إسماعيل البخاري. التاريخ الكبير. ترجمة محمد بن إبراهيم بن حبيب. 26/1
- 65 - الخطيب البغدادي. الكفاية في علم الرواية. دار الكتب العلمية. بيروت. 1988م. ص 330. 331
- 66 - يوسف بن عبد الله ابن عبد البر. جامع بيان العلم وفضله. ط2- دار الكتب الإسلامية - القاهرة - 1982م - ص 124
- 67 - صبحي السامرائي - مقدمة كتاب الخلاصة في أصول الحديث - الحسين بن عبد الله الطيبي - رئاسة ديوان الأوقاف العراقية- مطبعة الإرشاد - العراق 1971م - ص 10
- 68 - محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. تذكرة الحفاظ. دار الكتب العلمية. بيروت. 1374هـ. 43/1

- 69 - صبحي السامرائي . مقدمة كتاب الخلاصة في أصول الحديث . الحسين بن عبد الله الطيبي ص 10
- 70 - انظر الإمام أحمد بن حنبل . المسند . ت/ أحمد محمد شاكر . 253/9 والجزء العاشر بكامله .
والحاددي عشر والثاني عشر .)
- 71 - انظر أحمد بن أبي يعقوب - تاريخ يعقوبي - طبع في مدينة ليدن المحروسة - مطبع بريل - 1883م
- ص 114
- 72 - ابن حجر العسقلاني . الإصابة في تمييز الصحابة . دار إحياء التراث العربي . بيروت . 293/6
- 73 - الإمام أحمد . المسند . (ت/أحمد شاكر . بدون تاريخ) . 27/16
- 74 - انظر همام بن منه . الصحيفه الصحيحة . ص 20
- 75 - انظر فؤاد سركين - تاريخ التراث العربي - ترجمة محمود فهمي - إدارة الثقافة والنشر - جامعة محمد بن
سعود - السعودية 1983م - 155/1
- 76 - انظر: أبو داود - السنن - كتاب الزكاة - باب الزكاة في السائمة - ص 231 - رقم 1570 - قال
الشيخ الألباني: صحيح" - انظر السنن لأبي داود - دار الكتاب العربي - بيروت - 9/2 - رقم 5721
- 77 - انظر البخاري . الجامع الصحيح . كتاب العلم . باب التناوب في العلم - ص (20- 21) - رقم 89
- 78 . انظر البخاري . الجامع الصحيح . كتاب الجهاد والسير . باب ما يتعوذ من الجن . ص (467 . 468) . رقم 2822
- 79 . انظر مسلم . الجامع الصحيح . كتاب الإيمان . باب الدعاء إلى الشهادتين . ص 31 . رقم 121
- 80 . انظر صفي الرحمن المباركفوري - الرحيق المختوم - دار إحياء التراث - ص 408
- 81 . عبد الملك بن هشام . السيرة النبوية . تح: طه عبد الرؤوف سعد - دار الجليل - بيروت 1411 هـ .
250/5 - 300
- 82 . البخاري . الجامع الصحيح . كتاب العلم . باب تحريض النبي صلى الله عليه وسلم وفد عبد القيس . ص
20 . رقم 87
- 83 - عبد الله بن محمد أبو بكر بن أبي شيبه - الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار - تح: كمال يوسف
الحوت - ط1 - مكتبة الرشد - الرياض 1409 هـ - 315/5 - رقم 26447
- 84 - أبو بكر بن أبي شيبه - الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار - تح: كمال يوسف الحوت - 16/9
- 17 - 18 - 53 - 54 - وانظر أحمد بن علي الخطيب البغدادي - تقييد العلم - تح: يوسف
العش - ط2 - دار إحياء السنة النبوية - ص36
- 85 - انظر : أبو داود - السنن - كتاب الزكاة - باب في زكاة السائمة - ص 230 - 1567 - قال
الشيخ الألباني: صحيح" - انظر السنن لأبي داود - دار الكتاب العربي . بيروت - 6/2 - رقم 1569
- 86 - البخاري . الجامع الصحيح . كتاب العلم . باب كتابة العلم . رقم الحديث 111 . ص 24

- 87 - انظر أحمد بن علي الخطيب البغدادي - تقييد العلم - تح: يوسف العشي - ط 2 - دار إحياء السنّة النبوية - ص 64 - 72 - وأبو بكر بن أبي شيبة - الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار - 55/9 - وانظر الراهمزمي - المحدث الفاصل بين الراوي - ص 386
- 88 - ابن ماجة - السنن - كتاب الإيمان . باب التغليظ في تعمد الكذب على رسول صلّى الله عليه وسلّم . ص 5 . رقم 35 . قال الشيخ الألباني: "حسن" . انظر الألباني . السلسلة الصحيحة . مكتبة المعارف . الرياض . 346/4 . رقم 1753
- 89 - الذهبي . تذكرة الحفاظ . دراسة وتحقيق زكريّا عميرات . دار الكتب العلمية بيروت . لبنان . ط 1 . 1998م . 9/1
- 90 - انظر البخاري . الجامع الصحيح . كتاب الاستئذان . باب التسليم والاستئذان ثلاثا . ص 1087 . رقم 6245
- 91 - البخاري - الجامع الصحيح . كتاب الديّات . باب جنين المرأة - ص 1190 - رقم 6905
- 92 - انظر مسلم ، الجامع الصحيح - كتاب الطلاق - باب المطلقة ثلاثا لا نفقة لها - 198/4 - رقم 378
- 93 - البخاري . الجامع الصحيح . كتاب العلم . باب من خصّ بالعلم قوما دون قوم . ص (27 . 28) . رقم 128
- 94 - مسلم . الجامع الصحيح . المقدمة . باب التّهي عن التحديث بكلّ ما سمع . ص 8 . رقم 7
- 95 - انظر البخاري - الجامع الصحيح - كتاب الزكاة - باب زكاة الغنم - ص 235 - رقم 1454
- 96 - انظر الحاكم - المستدرک على الصحيحين - 552/1
- 97 - أحمد - المسند - 335/32 - رقم 15525
- 98 - انظر الحاكم - المستدرک على الصحيحين - 558/1 - رقم 1457
- 99 - انظر الخطيب البغدادي - تقييد العلم - ص 45
- 100 - أحمد بن حنبل - العلل - 248/2
- 101 - محمد بن سعد - الطبقات الكبرى - دار صادر - بيروت - لبنان . 268/6
- 102 - محمد بن سعد - الطبقات الكبرى - 296/6
- 103 - ابن حجر . فتح الباري شرح صحيح البخاري . 208/1
- 104 - الخطيب البغدادي . تقييد العلم ص 107
- 105 - محمد بن سعد . الطبقات الكبرى . 311/7
- 106 - د/ محمد عجاج الخطيب . السنّة قبل التدوين . دار الفكر . بيروت . ص 374
- 107 - البخاري . الجامع الصحيح . كتاب العلم . باب كيف يقبض العلم ؟ . ص 22 . رقم الحديث 34
- 108 - ابن عبد البر القرطبي . جامع بيان العلم وفضله . ط 2 . دار الكتب الإسلامية . القاهرة . 1982م . ص 127
- 109 - ابن حجر - فتح الباري شرح صحيح البخاري - 208/1